قصص القرآن (١٠)

قصة أصحاب الفيل	قصة المؤمنِ والكافرِ
قصة الرسول ﷺ والوحي	قصة دعوة الرسول ﷺ لقومه
قصة الرسول ﷺ والأعمى	قصة الهجرة
قصة المخلفين الثلاثة	قصة الرسول ﷺ في المدينة

تأليف

عبد العزيز سيد هاشم — ياسر علي نور

مصطفى عبد العزيز — محمد محمود القاضي

عاطف عبد الرشيد

تهذيب وتدقيق

محمد بسام حجازي

قصّةُ أصحابِ الفِيلِ

كانَ العربُ قبلَ الإسلامِ يَزُورُونَ الكعبةَ، ويأتُونَ إلَيْها مِن كلِّ مكانٍ، وأرادَ أَبرهةُ الحبَشيُّ حاكِمُ اليَمنِ أَنْ يَصرِفَ العربَ عَنِ الكعبةِ، فبَنَى في اليَمنِ كَنيسةً عَظيمةً، لِيَزُورَها النّاسُ بدَلًا مِنَ الكعبةِ.

ودَعا أَبرهةُ النّاسَ إلَى أَنْ يَحُجُّوا كلَّ عامٍ إلَى تلكَ الكَنيسةِ، ولكنَّ النّاسَ رَفضُوا ذلكَ، ولَمْ يَذهبْ أحدٌ إلَيْها، بَلْ إنَّ أحدَ العربِ دخلَها علَى غفلةٍ مِن أهلِها، فقضَى حاجتَه بِداخلِها ثُمَّ انصرفَ. فلَمّا عَلمَ أَبرهةُ بذلكَ، غضبَ غَضبًا شَديدًا، وأَقسمَ أَنْ يَهدِمَ الكعبةَ.

وانطلقَ أَبرهةُ بجَيشٍ هائلٍ، وضعَ في مُقدِّمتِه فِيلًا ضَخمًا لِيبُثَّ الرُّعبَ في قلوبِ العربِ، ويستخدمَه في هدمِ الكَعبةِ.

ولَمّا اقتربَ الجيشُ مِن أرضِ مكّةَ، أخذَ عبدُ المُطّلبِ سيِّدُ قُريشٍ وزعيمُها ومعَه نفرٌ مِن قُريشٍ يَدعُونَ ربَّهُم أَنْ يَحميَ بيتَه مِن هَؤُلاءِ الظَّلَمةِ المُعتدينَ.

وبَينَما أَبرهةُ يَزهُو ويَتفاخرُ بجَيشِه، وهوَ يظنُّ أنَّه قادرٌ علَى هدمِ بيتِ اللهِ، إذا بالمُفاجأةِ تَنتظِرُه.

لقَدْ عاقبَ اللهُ أَبرهةَ وجُنودَه عِقابًا شَديدًا علَى تَطاوُلِهِم وجُرأتِهِم علَى بيتِه الحرامِ الَّذي جعلَه رحمةً لِلعالَمِينَ، فأرسلَ اللهُ علَيهِم طُيورًا كثيرةً تَرميهِم بأحجارٍ صَغيرةٍ مِنَ النّارِ حتَّى أهلكَتْهُم وجعلَتْهُم كأوراقِ الشَّجرِ المُتآكلِ.

واستحقَّ أَبرهةُ ذلكَ الجزاءَ لِأَنَّه تكبَّرَ وعلا في الأرضِ، وأرادَ أَنْ يُفسِدَ فيها، وتجرَّأَ علَى حُرُماتِ اللهِ، فأخذَه اللهُ أَخْذَ عزيزٍ مُقتدِرٍ. يقولُ تعالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [سورة الفيل].

وفي هَذا العامِ الّذي يُسمَّى عامَ الفِيلِ، وُلِدَ رسولُ اللهِ ﷺ بعدَ أَنْ ماتَ أَبُوه عبدُ اللهِ وهوَ في بطنِ أُمِّه، ففرحَ بِه جدُّه عبدُ المُطَّلبِ فرَحًا شَديدًا وتَكفَّلَ بِه.

❊❊ ❊❊ ❊❊

قصّةُ المؤمنِ والكافرِ

ذكرَ القرآنُ الكريمُ قصّةَ رجلَينِ: أحدُهُما مُؤمنٌ بربِّه، والآخَرُ كافرٌ، وكانَ للمُؤمنِ مالٌ قليلٌ، أمّا الكافرُ فقَدْ رزقَه اللهُ مالًا وَفيرًا، وأَولادًا كَثيرينَ؛ فكانَتْ لَه حَديقَتانِ كَبيرتانِ مِن أشجارِ العِنبِ، وقَدْ أَحاطَهُما بالنَّخيلِ، وكانَ يَجري بينَ البُستانَينِ نهرٌ ماؤُه عَذبٌ، وقَدِ امتلأتِ الحَديقَتانِ بالزُّروعِ والثِّمارِ المُختلِفةِ.

ودخلَ الكافرُ حديقتَيْهِ اللَّتَيْنِ كثُرتْ فيهِما الزُّروعُ، واعتقدَ أنَّ تلكَ النِّعمَ لَنْ تزولَ عنهُ أبدًا، وأنَّه صاحبُ الفضلِ في كثرةِ ولدِه ووَفرةِ مالِهِ، وأنَّه إنَّما استحقَّ كلَّ هَذا الخيرِ نتيجةً لِذكائِهِ وعملِهِ. يقولُ تعالَى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٥-٣٦].

واغترَّ الرجلُ بِما رأَى في حَديقتَيهِ مِنَ الزُّروعِ والثِّمارِ والأشجارِ والأنهارِ الكثيرةِ، فظنَّ أنَّها لا تَفنَى ولا تَهلِكُ، وخرجَ فلقيَ الرجلَ المُؤمنَ فتكبَّرَ علَيهِ وعيَّرَه بفَقرِه وقِلّةِ

ولدِه، وقالَ لَه: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾.

ثُمَّ ازدادَ الرجلُ كُفرًا وجُحودًا لِنعمةِ اللهِ؛ فأنكرَ البَعثَ والقِيامةَ، وكفرَ باللهِ الَّذي خلقَه ورزقَه.

ودخلَ المُؤمنُ معَه في حِوارٍ حولَ الإيمانِ باللهِ والتَّصديقِ بالبَعثِ وكيفيّةِ شُكرِ النِّعمةِ، وقالَ لَه: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٧-٤١].

فما كانَ لكَ أيُّها الكافرُ الضالُّ أَنْ تكفرَ باللهِ الَّذي خلقَكَ مِن قبلُ ولَمْ تكُ شَيئًا، وما كانَ لكَ أَنْ تُكذِّبَ بالبعثِ، فالَّذي خلقَكَ أوَّلَ مرّة قادرٌ علَى أَنْ يُعيدَكَ بعدَ المَوتِ، وهوَ أهونُ عليهِ، ويَجبُ علَيكَ أَنْ تَشكُرَ اللهَ الَّذي أَنعمَ علَيكَ بتِلكَ النِّعمةِ، وماذا لَوْ أرادَ اللهُ تَعالَى أَنْ يُهلكَكَ ومالَك ومَنْ في الأرضِ جَميعًا؟ أكنتَ تَقدِرُ أَنْ تَمنعَ قضاءَ اللهِ تَعالَى بما

لَديكَ مِن قوّةٍ، أَوْ تردَّ قدَرَه بما عندَكَ مِن عِلمٍ قليلٍ؟

لكنَّ الكافرَ لَمْ يَسمعْ لقولِه، ولَمْ يَنتفِعْ بنُصحِه، فأصرَّ علَى كُفرِه، وتَمادَى في عِنادِه.

وفي إحدَى اللَّيالي أرسلَ اللهُ سُبحانَه إعصارًا مُدمِّرًا علَى حديقتَيِ الكافرِ، فاقتلعَ الأشجارَ وأهلكَ الزرعَ والثِّمارَ، وتركَها خاويةً علَى عُروشِها، لا يكادُ يُصدِّقُ مَن يراها اليومَ أنَّها كانَتْ بالأمسِ جنّةً مُزهرةً.

وطلعَ الصَّباحُ، ورأَى الكافرُ الخَرابَ الَّذي حَلَّ بِه ﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ۝٤٢ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾. وهُنا علمَ الكافرُ أنَّ اللهَ هوَ الخالقُ الحَقيقيُّ، وأنَّه هوَ الرزاقُ الحقيقيُّ، وأنَّه المُحيِي المُميتُ الحيُّ القيُّومُ.

وعلَى الإنسانِ أَنْ يَعترفَ بفضلِ اللهِ علَيهِ، ولا يُشرِكَ بِه أحدًا ويُوقنَ أَنَّ هُناكَ يَومًا يُبعثُ النّاسُ فيهِ، ثُمَّ يُعرَضُونَ للحسابِ، فيُجزَونَ علَى ما قدَّمُوه في حَياتِهم، فمَنْ عَملَ مِنهُم خَيرًا وجدَ خيرًا، ومَن عَملَ شَرًّا نَدمَ حيثُ لا يَنفعُ النَّدمُ. ﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾.

قصّةُ الرَّسولِ ﷺ والوَحيِ

كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يتعبَّدُ في غارِ حِراءٍ قبلَ أَنْ يَنزلَ علَيهِ الوَحيُ، وفي إحدَى المَرّاتِ نزلَ علَيهِ مَلَكُ الوَحيِ جِبريلُ عليه السلام بقَولِه تَعالَى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١-٥]. فذهبَ الرَّسولُ مُسرِعًا إِلَى زوجتِه خَديجةَ، وقالَ لَها: «زمِّلُوني.. زمِّلُوني». فغَطَّوْه، وحكَى لَها النبيُّ ﷺ ما حدثَ، فطَمْأَنتْه وذهبَتْ بِه إِلَى ابنِ عمِّها ورقةَ بنِ نَوفلٍ، وكانَ عالِمًا بالنَّصرانيّةِ، فأَخبرَه بأَنَّ هَذا هوَ جِبريلُ المَلَكُ الَّذي يَنزلُ علَى الأنبياءِ.

وذاتَ يَومٍ كانَ الرَّسولُ ﷺ يسيرُ في الطَّريقِ، فشاهدَ جِبريلَ في السَّماءِ، فأَسرعَ إِلَى بَيتِه، وقالَ لِزوجتِه خَديجةَ: «زمِّلُوني». فأنزلَ اللهُ تَعالَى علَيهِ القرآنَ الكريمَ يَأمرُه بِتَبليغِ الإسلامِ إِلَى النّاسِ، وتَلا علَيهِ جِبريلُ قولَ اللهِ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ [المدثر: ١-٣].

** ** **

قصّةُ دعوةِ الرَّسولِ ﷺ لقومِه

ظلَّ النبيُّ ﷺ يَدعُو أهلَ مكّةَ إلَى الإسلامِ سِرًّا حتَّى نزلَ قولُ اللهِ تَعالَى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فخرجَ النبيُّ ﷺ مِن بَيتِه، وتوجَّهَ إلَى جبلِ الصَّفا، فصعِدَه، وأخذَ يُنادي في أهلِ مكّةَ حتَّى تَجمَّعُوا حولَه.

فقالَ لَهُم: «أرأيتُم إنْ أخبرتُكُم أَنَّ خَيلًا تَخرجُ مِن سَفحِ هَذا الجبلَ أكنتُم مُصَدِّقيَّ»؟ فقالُوا: ما جرَّبْنا علَيكَ كَذِبًا. فقالَ ﷺ: «فإنِّي نَذيرٌ لَكُم بَينَ يدَيْ عذابٍ شَديدٍ»، فاغتاظَ أبُو لَهَبٍ عمُّ الرسولِ وقالَ: تبًّا لكَ، ما جَمعتَنا إلّا لِهَذا؟! فنزلَ قولُ اللهِ تَعالَى رَدًّا علَى أبي لَهَبٍ: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾[سورة المسد] [رواه البخاري ومسلم].

واشتدَّ كُفّارُ مكّةَ في مُعاداتِهم لرسولِ اللهِ ﷺ، والرسولُ يتحمَّلُ ذلكَ بصَبرٍ جَميلٍ، ويَستمرُّ في دَعوتِه.

** ** **

قصّةُ الرسولِ ﷺ والأعمَى

كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَجلسُ معَ جَماعةٍ مِن سادةِ قُريشٍ، يَعرِضُ علَيهِمُ الإسلامَ، فدخلَ علَيهِ عبدُ اللهِ بنُ أُمِّ مَكتومٍ يُنادِي: عَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَك اللهُ. وهوَ لا يَدرِي أنَّ الرسولَ ﷺ مَشغولٌ بغَيرِه؛ لِأنَّه كانَ أعمَى، فتَضايقَ الرسولُ ﷺ، وظهرَ ذلكَ علَى وجهِه عندَما قطعَ عبدُ اللهِ حديثَه؛ فأنزلَ اللهُ الوَحيَ علَى نبيِّه يُعاتبُه عِتابًا رَقيقًا علَى ذلكَ المَوقِفِ. يَقولُ تَعالَى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾ [عبس: ١-١١].

وكانَ النبيُّ ﷺ يَرجُو مِن عبدِ اللهِ أَنْ يَنتظرَ قَليلًا، حتَّى يَفرُغَ مِن شأنِ سادةِ قُريشٍ، رجاءَ أَنْ يُسلِمُوا أَوْ يُسلمَ بعضُهُم فيَكونَ عَونًا للإسلامِ وللمسلمينَ، فنزلَتِ الآياتُ تُرشدُ إلَى أَنَّ مَن أقبلَ علَى الإسلامِ بقَلبِه وكِيانِه كلِّه هوَ الأحقُّ والأجدرُ بالِاهتمامِ بأمرِه.

قصّةُ الهِجرةِ

كانَ النبيُّ ﷺ يَعرِضُ الإسلامَ علَى القَبائلِ الَّتي تَأْتي إلَى مكّةَ لزِيارةِ الكَعبةِ.. وفي السَّنةِ الحاديةَ عَشْرةَ مِنَ البِعثةِ، لقيَ ﷺ رِجالًا مِن يَثرِبَ (المدينةِ المُنوَّرةِ)، فدَعاهُم إلَى الإسلامِ فأسلمُوا، وواعدُوه أَنْ يَدْعُوا قومَهُم ويَأْتُوه في العامِ القادِمِ.

وفي السَّنةِ الثّانيةَ عَشْرةَ مِنَ البِعثةِ، جاءَ اثنا عشَرَ رَجلًا، وقابلُوا النبيَّ ﷺ عِندَ مكانٍ بَينَ مِنًى ومكّةَ اسمُه العَقَبةُ، فأعلَنُوا إسلامَهُم ومُبايعتَهُم للنبيِّ ﷺ، ثُمَّ انصرفُوا إلَى المَدينةِ، ومعَهُم مُصعبُ بنُ عُميرٍ لِيُعلِّمَهُمُ القرآنَ وأركانَ الإسلامِ. وفي العامِ التّالي جاؤُوا، وكانَ عددُهُم ثلاثةً وسَبعينَ رجلًا وامرأتَينِ، وبايعُوا الرسولَ ﷺ عندَ العَقَبةِ، ثُمَّ أَذنَ الرسولُ ﷺ لِأصحابِه في الهِجرةِ، فهاجرُوا إلَى المَدينةِ، وانتظرَ الرسولُ ﷺ حتَّى يأتيَه الإذنُ مِنَ اللهِ سُبحانَه، وجاءَ الإذنُ لرسولِ اللهِ ﷺ بالهِجرةِ، فاختارَ النبيُّ ﷺ أبا بَكرٍ الصِّدّيقَ لِيُرافقَه في تلكَ الرِّحلةِ المُباركةِ.

فلَمّا عَلمَتْ قُريشٌ بهِجرةِ المُسلمينَ تجمَّعُوا، وأَرادُوا قتلَ رسولِ اللهِ ﷺ، ووقفُوا علَى بابِ دارِه يَنتظرُونَ خُروجَه.

وخرجَ الرسولُ ﷺ مِن بَينِهم، وقَدْ أَلقَى اللهُ سُبحانَه النَّومَ علَى المُشركينَ. يقولُ تَعالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩].

وانطلقَ النبيُّ ﷺ وصاحبُه أبو بكرٍ إلَى المَدينةِ.

وفي الطَّريقِ مَكثا في غارِ ثَورٍ ثلاثَة أيّامٍ، وخرجَ المُشركونَ وراءَهُما يَبحثُونَ عَنهُما حتَّى وصلُوا إلَى غارِ ثَورٍ، وسَمعَ الرسولُ ﷺ وأبو بكرٍ صوتَ أقدامِ المُشركينَ، فخافَ أبو بكرٍ علَى رسولِ اللهِ ﷺ وقالَ لَه: لَوْ نظرَ أحدُهُم تحتَ قدمَيهِ لرَآنا. فقالَ لَه الرسولُ ﷺ: «يا أبا بكرٍ ما ظنُّكَ باثنينِ اللهُ ثالثُهُما؟ لا تحزَنْ إنَّ اللهَ معَنا». فأعمَى اللهُ سُبحانَه أبصارَ المُشركينَ، ولَمْ يظُنُّوا أنَّ بالغارِ أحدًا وذَهبُوا بَعيدًا عَنهُ. [متفق عليه].

ثُمَّ خرجَ الرسولُ ﷺ وصاحبُه أبو بكرٍ لِيُواصِلا الرِّحلةَ إلَى المَدينةِ. قالَ تعالَى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

قصّةُ المخلَّفينَ الثّلاثةِ

خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ والمُؤمنونَ إلَى غزوةِ تَبُوكَ، ولَمْ يَتخلَّفْ عَنِ الخُروجِ للجهادِ إلّا المُنافقونَ والمَرضَى والضُّعَفاءُ. لكنَّ ثلاثةً مِنَ المُؤمنينَ الصّادقينَ تَخلَّفُوا عَن هَذِه الغزوةِ، ولَمْ يَكنْ لَهُم عُذرٌ، وهُم: كَعبُ بنُ مالكٍ، ومُرارةُ بنُ الرَّبيعِ، وهِلالُ بنُ أُميّةَ.

وبعدَ عودةِ الرسولِ ﷺ مِنَ الغَزوةِ إلَى المَدينةِ، أسرعَ المُنافقونَ إلَيهِ وهُم يَختلقُونَ الأعذارَ الكاذبةَ لِيُقنعُوا الرسولَ ﷺ بِها، فكانَ النبيُّ ﷺ يقبلُ أعذارَهُم معَ عِلمِه بخِداعِهِم ومَكرِهِم، وجاءَ الدَّورُ في الِاعتذارِ علَى كعبٍ ومُرارةَ وهِلالٍ، فلَمْ يَكذِبُوا علَى النبيِّ ﷺ، ولكنَّهُمُ اعترفُوا بِذنبِهِم وتَقصيرِهِم في حقِّ اللهِ ﷻ، وقالُوا الصِّدقَ.

وبعدَها صدرَ الأمرُ مِنَ النبيِّ ﷺ للمُسلمينَ بمُقاطَعةِ هَؤلاءِ الثّلاثةِ، فلا أحدَ يُعامِلُهُم أَوْ يتحدَّثُ معَهُم، فكانُوا يَسيرونَ بينَ النّاسِ كأنَّهُم غُرباءُ، حتَّى إنَّهُم كانُوا إذا أَلقَوُا السَّلامَ علَى أحدٍ لَمْ يُسمِعْهُم ردَّه، فعاشَ هَؤلاءِ الثّلاثةُ أَيّامًا عَصيبةً، وعَلمَ أعداءُ الإسلامِ أنَّ النبيَّ ﷺ قَدْ قاطعَ بعضَ

أصحابِه، فبَعثَ مَلِكُ غَسّانَ، وهوَ مِن أعداءِ الإسلامِ، برِسالةٍ إلَى كعبِ بنِ مالكٍ يقولُ فِيها: أَمّا بعدُ، فقَدْ بلَغَنا أَنَّ صاحبَكَ قَدْ جَفاكَ (أبعدَك)، ولَمْ يَجعَلْكَ اللهُ بدارِ هَوانٍ ولا مَضيَعةٍ، فالحَقْ بِنا نُواسِكَ (نقفْ بجانبِكَ). ولكنَّ كعبًا الَّذي شعرَ بذَنبِه وندِمَ علَيهِ لَمْ يَكنْ لِيَفعلَ ذَنبًا أقبحَ مِنهُ، ويَنصُرَ أعداءَ اللهِ علَى رسولِ اللهِ؛ وعرفَ أنَّ هَذا ابتلاءٌ مِنَ اللهِ لَه، فانتصرَ علَى نفسِه هَذِه المَرّةَ وألقَى الرِّسالةَ وأحرَقَها في النّارِ.

وبعدَ مُرورِ أربعينَ ليلةً مِنَ المُقاطعةِ، بعثَ النبيُّ ﷺ رسولًا إلَى كعبِ بنِ مالكٍ ومُرارةَ بنِ الرَّبيعِ وهِلالِ بنِ أُميّةَ لِيَأمُرَهُم أَنْ يَهجُرُوا زَوجاتِهِم، ففعلُوا جَميعًا، إلّا أَنَّ امرأةَ هِلالِ بنِ أُميّةَ استأذنَتِ الرسولَ ﷺ في أَنْ تَمكُثَ معَ زَوجِها لِتخدُمَه؛ لِأنَّه رجلٌ كبيرُ السِّنِّ، فوافقَ النبيُّ ﷺ بعدَ أَنِ اشترطَ علَيها ألّا يَقرَبَها زَوجُها. ومرَّ علَى هَذِه الحالةِ عَشْرُ ليالٍ أُخرَى فتمَّتِ المُقاطعةُ خَمسينَ ليلةً.

وفي أثناءِ هَذِه المُدّةِ، بلغَ الضِّيقُ والهَمُّ مِنَ الثّلاثةِ مَبلَغَه حتَّى ضاقَتْ علَيهِم أنفسُهُم، وأُغلِقَتِ السُّبلُ كلُّها في وُجوهِهِم، وعلِمُوا أنَّه لا مُنقِذَ لَهُم مِن هَذا إلّا اللهُ، فقبِلَ اللهُ سُبحانَه وتَعالَى تَوبتَهُم لِصدقِهِم وإخلاصِهِم.

وفي صَباحِ اللّيلةِ الخَمسينَ، وبعدَ أَنْ صلَّى كعبٌ الفجرَ علَى سطحِ بيتِه، إذا بِه يَسمعُ صَوتًا مِن بَعيدٍ: يا كعبُ يا كعبُ أَبشِرْ فقَدْ تابَ اللهُ علَيكَ. ففرحَ كعبٌ بهَذِه البُشرَى فرَحًا شَديدًا حتَّى إنَّه خلعَ الثَّوبَ الَّذي يَرتدِيه وأهداهُ لِصاحبِ البُشرَى.

ثُمَّ ذهبَ النّاسُ يُبشِّرونَ الِاثنينِ الآخَرينِ، فخرَجَ كعبٌ مُتوجِّهًا إلَى مَسجدِ الرَّسولِ ﷺ، فلَمّا وصلَ إلَى المَسجدِ وجدَ رسولَ اللهِ ﷺ يَجلسُ وحولَه أصحابُه، فقامَ طلحةُ بنُ عُبيدِ اللهِ رضي الله عنه وصافحَ كعبًا وهنَّأَه، ثُمَّ ذهبَ كعبٌ لِيُسلِّمَ علَى الرسولِ ﷺ فرأَى وجهَ النبيِّ ﷺ مَملُوءًا بالسُّرورِ والفرحِ، فقالَ لِكعب: «أبشِرْ بخيرِ يَومٍ مرَّ عليكَ مُنذُ ولدَتْكَ أُمُّكَ». فقالَ كعبٌ: أَمِن عِندِكَ يا رسولَ اللهِ أَمْ مِن عِندِ اللهِ؟ فقالَ ﷺ: «بَلْ هوَ مِن عِندِ اللهِ». ففرحَ المُسلمونَ جَميعاً. [متفق عليه].

قالَ تَعالَى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُواْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٨-١١٩].

قصّةُ الرسولِ ﷺ في المدينةِ

هاجرَ الرسولُ ﷺ إلَى المَدينةِ، وجلسَ عندَ أبي أيُّوبَ الأنصاريِّ، وأسَّسَ الرسولُ ﷺ المُجتمعَ الإسلاميَّ في المَدينةِ؛ حيثُ بَنى مَسجدَه الشَّريفَ، وأصلحَ بَينَ قَبيلتَي الأوسِ والخَزرجِ، وآخَى بَينَ المُهاجرينَ والأنصارِ، وكتبَ مُعاهدةَ سَلامٍ معَ اليَهودِ.

وفي السَّنةِ الثّانيةِ مِنَ الهجرةِ حاربَ المُسلمونَ مُشركي مكّةَ في غزوةِ بدرٍ، وكانَتْ معركةً فاصلةً انتصرَ فيها المُسلمونَ انتِصارًا حاسِمًا. قالَ تَعالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

وتوالَتِ الغزَواتُ: أُحدٌ والخندقُ، وطردَ الرسولُ ﷺ اليَهودَ مِنَ المَدينةِ لِخيانتِهم، ثُمَّ كانَ فتحُ مكّةَ في السَّنةِ الثّامنةِ مِنَ الهِجرةِ، وفي يَومِ الِاثنينِ الثّانيْ عشَرَ مِنْ رَبيعٍ الأوَّلِ مِنَ العامِ الحاديْ عشَرَ للهِجرةِ تُوفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ بعدَ أَنْ أَكملَ اللهُ بِه الدِّينَ وأَتمَّ بِه النِّعمةَ، وانتشَرَ دِينُ الإسلامِ.

❊❊ ❊❊ ❊❊

خـاتـمـةٌ

هَذِه بعضُ قِصصِ وحِكاياتِ القُرآنِ الكريمِ الَّتي كانَتْ تَنزلُ علَى النبيِّ ﷺ لِتُخفِّفَ عَنه ما يُواجهُه مِن أذًى وتكذيبٍ، وتُساعدُه علَى مُواصلةِ الجِهادِ مِن أجلِ إعلاءِ رايةِ الإسلامِ.

وكلُّ قِصّةٍ مِن هَذِه القِصصِ آيةٌ وعلامةٌ علَى قدرةِ اللهِ علَى كلِّ شيءٍ، وهيَ أيضًا مُعجزةٌ يُدافعُ اللهُ بها عَنِ المُؤمنينَ، ويُبطلُ بها كَيدَ الكافرينَ.

والمُسلمُ يَقرأُ هَذِه القِصصَ ببَصرِه، ويَعيها ببَصيرتِه، ويأخذُ مِنها ما ينفعُه في الدُّنيا والآخرةِ، ويَجعلُ مِنها هاديًا لَه ومُعينًا علَى تَحمُّلِ الشَّدائدِ والصِّعابِ، يقرؤُها لِيَستخلصَ مِنها الدُّروسَ الَّتي تُثبِّتُ إيمانَه.

ولَنا في قَصصِ القُرآنِ الكريمِ العبرةُ والعِظةُ، وصدقَ اللهُ العظيمُ إذ يَقولُ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

** ** **